راغب النشاشيبي: نظرة من داخل البيت

Nasser Eddin Nashashibi; *Jerusalem's other Voice, Ragheb Nashashibi and Moderation in Palestinian Politics, 1920 - 1948,* London: Ithaca Press, 1990, 273 Pages.

ليس اهتمام ناصر الدين النشاشيبي في التاريخ الفلسطيني المعاصر اهتماماً تخصصياً ـ أكاديمياً بالمعنى الحصري للكلمة، بل أنه اهتمام من نوع آخر؛ انه اهتمام المراقب والمشاهد والمشارك. ان نوعية أعمال ناصر الدين ومشاغله في الصحافة العربية والدولية، إضافة الى نسبه العائلي، تجعلان ما يقوله في مقدمة كتابه، مقبولاً من القارىء. فهو يعتبر بأن كتابه عن راغب النشاشيبي لا يأتي في منظومة الكتب التي تروي تاريخ فلسطين، بل أنه، وباختصار، مجموعة من الصور والمشاهد الشخصية. ويوضح المؤلف في المقدمة، ان كتابه، ليس أكاديمياً، ذلك انه قام بكتابته في سياق رواية خاصة لقضية فلسطين، خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين، ومن خلال الانقسام السياسي ما بين «النشاشيبية» و«الحسينية»، وما شهده هذا الانقسام من صراع بين السياسات المتشدّدة أو الراديكالية وبين السياسات المعتدلة.

يتألف الكتاب من خمسة عشر فصلاً وتسعة عشر ملحقاً، تحاول، في مجملها، احاطة الموضوع من مختلف جوانبه.

تناول الفصل الاول الخلفية التاريخية لمدينة القدس، منذ فجر التاريخ، وما تعرّضت له هذه المدينة من غزوات بلغت خمس وعشرين غزوة، وما تعاقب عليها من حضارات. كما تعرّض الى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في المدينة، مؤكداً على صفة التمازج والتآلف والتآخي ما بين الديانات السماوية الكبرى. واستعرض الفصل، بايجاز، موقع عائلة النشاشيبي في القدس، وأهميتها، وصولاً الى النكبة في العام ١٩٤٨، وتشتّت العائلة، ولجوء أفرادها الى القاهرة وعمّان ودمشق والولايات المتحدة الاميركية والكويت والمملكة العربية السعودية.

أمّا الفصل الثاني، فسلّط الضوء على خلفية راغب النشاشيبي وتطوّر حياته، منذ ولادته في العام ١٨٨٢، ودراسته الهندسة وتخطيط المدن في جامعة القسطنطينية، ودور والده رشيد في الحقلين، السياسي والاجتماعي في القدس، لينتقل إثر ذلك الى الفصل الثالث، ودور راغب النشاشيبي في رئاسة بلدية القدس ما بين الاعوام ١٩٢٠ ـ ١٩٣٤. في هذا السياق، قدّم الكاتب بشيء من التفصيل، انجازات راغب على صعيد تطوير مدينة القدس، وتنظيم مصادر مياهها، وتحويلها من مدينة تركية الى مدينة حديثة، من دون ان يمس الطابع المعماري والحضاري ـ التاريخي للمدينة، فقد «تمكّن راغب بك من الحفاظ على مجد الشرق القديم، وإدخال تحديث الغرب الى القدس» (ص ٣٠).

تناول الفصل الرابع «نهاية مرحلة»، وبشيء من التفصيل انتخابات بلدية القدس التي أُجريت في العام ١٩٣٤، وفوز حسين الخالدي بها، حيث شكّلت تلك الانتخابات معركة سياسية، ذات أهمية خاصة في تاريخ الصراع العائلي ـ السياسي في فلسطين، وبها تمكّن الحسينيون من شقّ صفوف المعارضة، واخراج الخالديين منها، ومساعدتهم في تأسيس هيئة مستقلة، وتأييد مرشحهم د. حسين الخالدي، الامر الذي أدّى بدوره